

ظاهرة الإبداع في شعر أبي نواس

جمهورية إيران الإسلامية

الأستاذ المساعد الدكتور

عبدالرزاق رحمانى

جامعة هرمزكان - مركز البحوث والدراسات " هرمز "

rahmani6038@gmail.com

الأستاذ المساعد الدكتور

احمد نور وحيدى

مجتمع التعليم العالي - سراوان

الباحث

نوح إسلامى

جامعة تربيت مدرّس - كلية الآداب - طهران

المخلص

يتطور الأدب بتطور الثقافات، فيأخذ من المجتمع شيئاً و يعطيه شيئاً؛ كلما نطالع النصوص الأدبية نشاهد طورا من الإبداع و التجديد فيها بسبب تطور المجتمعات والثقافات التي يعيش الأديب فيها. تطور الأدب في العصر العباسي أكثر من العصور المسبقة و أوجد فيه الأديباء شيئاً من الإبداع وقاموا بتجديد الأغراض الشعرية و مضامينه. أبو نواس بوصفه شاعرا مجددا قد ولد بأهواز في العصر العباسي و تعرف على الثقافات المختلفة و أبدع في أشعاره ما لا نراه عند الشعراء المسبقين؛ فنشاهد شيئاً من الإبداع في الصورة الشعرية و المعاني التي تنكشف من خلال أشعاره. يحاول هذا البحث أن يكشف الغطاء عن مظاهر الإبداع في أشعار أبي نواس معتمدا على المنهج الوصفي- التحليلي، و من نتائج هذا البحث هو أنه أبدع أبو نواس في بعض المعاني الشعرية و الصور الشعرية و لكنه يميل إلى التجديد أكثر منه إلى الإبداع.

الكلمات الرئيسية: أبو نواس - ظاهرة الإبداع - المعاني الشعرية - الصور الشعرية

المقدمة

الأدب مرآة العصر وكل ما يحدث في المجتمع أو الكون ينعكس فيه. كلما يتطور العالم ويتوسع، تتقارب الحدود بعضها إلى بعض، ولا يخلو كل عصر من الحضارة والثقافة، بل لكل عصر ثقافة تختص بها من أقدم الأزمنة. إن نمنع النظر في العصور المنصرمة نرى فيها من يقومون بتوسيع ثقافتهم ليواكبوا وثقافة العصر. فالشعب الثقافي لا يرغب في أشياء لا يلائم وثقافة العصر، بل يريد التطور ليوافق تطورات عصره. كان الإنسان في العصر الجاهلي في الجزيرة العربية يعيش في بيئة صحراوية لا يخرج من إطارها، فثقافته كانت صحراوية، فهو كان يسعى أتم السعي ليعبر عن أحاسيسه و مشاعره تجاه ما كان يواجهه في بيئته المحددة، فهو ما كان يدري ما هي المدينة أو ما هي السيارة ليعبر عن أحاسيسه تجاهها، فالتجربة الشعورية هي التي تمهد الطريق للتعبير، و التعبير عن شيء لا يمكن إلا أن نلمسه بمشاعرنا؛ إن يكن الأمر هكذا لا بد لكل معبر أن يعبر عما يلمسه ويواجهه بمشاعره في مجتمعه وبيئته و إلا فلا يواجه عمله بقبولية الجماهير، بل يرفض و يهجر. إذن الإنسان العصري لا يقبل ما كان يقبله الإنسان الماضي، فلا يقبل طبعنا أن نتكلم في عصر التكنولوجيا عما كان سائدا في العصر الحجري؛ فبما تتوسع المجتمعات عصرا بعد عصر، تتطور الثقافات معها، و عندما تتطور الثقافات تأتي الحضارة الجديدة بمظاهرها الجديدة، و التكلم عن الحضارة يتطلب التكلم عن الإبداع.

الإبداع ظاهرة الحضارة، لأن كل من يعيش في عصر عليه أن يخطط لحياته على غرار التطورات الجديدة لتيسر له الحياة، لأنه تتغير الأدوات بتغيير مظاهر الحياة و هنا يبرز دور الإبداع. فعملية الإبداع يسهل الطريق لمواكبة العصر و الزمان. لا يمكن التغفل عن الأدب في عصر تطور الحضارة، فالأدب بوصفه مرآة للعصر و المجتمع لا بد أن يأتي بجديد يلائم و الحضارة. إذن الأديب لا يكفي أن يتكلم عما كان قبل قرن في الحضارة التي انتهت زمانه، و إن يجري على غرار ما مضى لا يستطيع أن يرتبط بمخاطبيه، فلهذا يرفض أثره ولا يواجه بقبول جماهيري.

العصر العباسي في الأدب العربي عصر تتلأ فيه الحضارة الجديدة التي كانت نتيجة تحطم الحدود الجغرافية والثقافية، فتوافدت إليه الثقافات الإيرانية و اليونانية. تكلم الشعراء و الكتاب في آثارهم عن هذه الحضارة الجديدة و تركوا الصحراوية الخشنة التي لم تكن تلائم و العصر؛ قد عكف بعض الأدباء على التجديد في الأغراض الشعرية و بعضهم قد جنحوا إلى القديم و بعضهم قد أبدعوا الأغراض الجديدة في الشعر العربي. كان أبونواس من الشعراء الذين عكفوا على التجديد ليواكب المكان و الزمان، فجدد في بعض الأغراض والمعاني و ربما أبدع بنوع ما. نحاول في هذا البحث أن نكشف الغطاء عما أبدع أبونواس في الشعر العباسي إن كان هناك شيء من الإبداع الأسلوبى و نأتي بأدلة القائلين بأنه مبدع أم هو مجدد.

أسئلة البحث

نحن في هذه الدراسة نريد أن نجيب على هذه الأسئلة الثلاث:

- ما هو الإبداع الأسلوبى في الصور الشعرية لأبي نواس؟
- ما هو الإبداع في الأفكار في أشعار أبي نواس؟
- ما هي أدلة المخالفين لإبداع أبي نواس؟

خلفية البحث

١- نجاريان و كهديويي (١٣٩٠)، هناك مقالة فارسية تحمل عنوان «نگاه شاعرانه رودكي و ابونواس به خمريات». قد قام الباحث في هذه الدراسة بمقارنة بين أبي نواس الشاعر العربي و رودكي الشاعر الفارسي من حيث رؤيتهما إلى الخمر و كيفية توصيفهما إياه و أنه قد تأثر أبو نواس برودكي في أشعاره الخمرية.

٢- ابن الرسول (لاتا). مقالة تحمل عنوان «مقايسه خمريات عربي و فارسي (أبونواس و رودكي)». هذه المقالة ترجمة لمقالة الدكتور غنيمي هلال التي تحمل عنوان «مقارنات في الخمريات العربية و الفارسية بين رودكي و أبي نواس». فقد قام المترجم بعد مقدمته على النص الأصلي لهذه المقالة بترجمتها. جدير بالذكر أن الدكتور غنيمي هلال قد قام في مقالته بمقارنات بين خمريات أبي نواس و رودكي، ثم قال بتأثير أبي نواس على رودكي و أنه قد تأثر رودكي بخمريات أبي نواس.

٣- مير حسيني و مقصودي (١٣٩٠). مقالة تحمل عنوان «بررسي تطبيقي زهديات ابونواس و سنائي». قد تناول الباحث في هذه المقالة زهديات أبي نواس و سنائي بالدرس و قام بمقارنة بينهما. و هناك مقالات أخرى حول أبي نواس و شعره، تتناول بعضها قضية نزعتة المذهبية بالدرس أو رؤياته السياسية، أو تقوم بقضايا الخلافية حول نشأته و حياته و شعوبيته.

التعاريف والمفاهيم

الإبداع و مفاهيمه

كلمة الإبداع لغويا مصدر لفعل يزيد على ثلاثة أحرف في ماضيه من باب إفعال و أصلها بدع، و يقول ابن منظور ذيل هذه الكلمة: «بدع: بدع الشيء، يبدعه و ابتدعه: أي أنشأه و بدأه» (ابن منظور، ٦، ١٣٠٠). و يقول عن كلمة البديع التي اشتقت من البدع و جاء فيه التنزيل: «و البديع و البدع: الشيء الذي يكون أولا، و في التنزيل: قبل ما كنت بدعا من الرسل: أي ما كنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير» (المصدر نفسه). و يقول أيضا عن البديع: «و البديع: المبدع، و أبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال. و البديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء و إحداثه إياها، و هو البديع الأول قبل كل شيء. و يجوز أن يكون بمعنى المبدع أو يكون من بدع الخلق أي بدأه، والله تعالى كما قال سبحانه: بديع السماوات و الأرض، أي خالقها و مبدعها، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق» (المصدر نفسه). ثم يستمر القول بأنه: «و أبدع الشاعر: جاء بالبديع» (المصدر نفسه، ٧). فكلية بدع كما أشار إليه ابن منظور يستنبط منها الاختراع أو إنشاء شيء من نقطة الصفر، و المبدع هو الذي يأتي بشيء لم يأت به سابقوه؛ إذن فالبديع و المبدع (بفتح الدال) هو الشيء الذي يكون أولا، و عندما يقال عمن اخترع شيئا يقولون بأنه مبدعه بدعا، و هو الذي قام بابتداعه، أي أنشأه و بدأه. فعندما نقول أبدع فلان الشيء نعني به أنه اخترعه على غير مثال. حينما نرى مبدعا قد قام بإبداع نفوه بكلمة الله متعجبا بعمله، ربما هذا النفوه لعظمة الإبداع إحالة إلى المبدع الأول سبحانه و تعالى (احمد عيسى، ٦، ١٩٩٠).

إن كلمة بديع تعني الجديد من الأشياء أيضا ، كما أن من معاني البديع أنه المثال و النهاية في كل شيء ، فيقولون رجل بدع و امرأة بدعة إذا كان غاية في كل شيء (المصدر

نفسه). فكلمة إبداع على هذا الأساس، أي بمعنى الجديد من الأشياء تشمل الأشياء التي قد كانت موجودة مسبقا، لكنه قد أتو بها برؤية جديدة لم يره الآخرون، مع أن أصولها كانت موجودة أو رؤية شيء مألوف بطريقة غير مألوفة و ما إلى ذلك. على أساس هذا المعني عندما نقول مثلا الشاعر المبدع فنعني بأنه قد تغير رؤيته حول ظاهرة في شعره؛ بعبارة أخرى الإبداع بهذا المعني هو التجديد. « فالإبداع ليس إلا رؤية الفرد لظاهرة ما بطريقة جديدة»

(mowhopon.net.detbank٨٨٨٠)

أسباب الإبداع لدى الشاعر

الدوافع التي تدفع الإنسان إلى الإبداع كثيرة، تتغير هذه الدوافع و الأسباب بتغير البيئة التي يعيش فيه الإنسان. قد افترضوا أن الشرط الأول لقيام الشاعر بالإبداع هو ظهور علاقة معينة بينه و بين مجتمعه، أي أنه طبق هنا القاعدة السيكولوجية العامة التي تقضي بأنه لا يمكن تفسير أية ظاهرة بمعزل عن مجالها. (احمد عيسى، ٦، ١٩٩٠). العلاقة المعينة بين المبدع و بين مجتمعه تتضمن إحساسه بنقص في هذه البيئة، فيدفعه شعوره بهذا النقص إلى البحث عن الحل الذي يرضيه من خلال إبداعه للقصيدة أو اللحن أو الصورة (المصدر نفسه).

نظرة للعصر العباسي والمشر فيه

العصر العباسي كعصر للحضارات

لكل أمة أدبها الخاص الذي يختص بها و تعيش به و تتأثر منه، فلا يمكن أن نتصور أمة دون أدب و لغة و ثقافة؛ كذلك لكل عصر أدبه الذي يعرف العصر به كما يعرف كل أدب بعصره الذي يعيش الأديب فيه. تبرز أهمية هذا الأمر من خلال هذا القول للدكتور نجيب عطوي حيث يقول: «معني كلمة أدب تختلف في مدلولها بين عصر و آخر» (نجيب عطوي، ١١، ١٩٩٣). قد تغير المجتمع العربي في العصر العباسي ثقافيا و معيشيا من ناحية اجتماعية، فقد شاهد هذا العصر الثروات الاقتصادية الوفيرة التي ما شاهدها في أي عصر قبله (المصدر نفسه، ١٢). أما من الناحية الثقافية فقد شاهد هذا العصر الثقافات و الحضارات المختلفة من إيرانية و هندية و يونانية، كذلك نشاهد في

العصر العباسي النزعات المذهبية و التيارات السياسية الملونة، حيث لا نشاهدها في العصور المنصرمة؛ الجدير بالذكر هو أنه لا شك في تأثير السياسة على هذه النزعات و التيارات في هذا العصر.

كان الطابع في السياسة العباسية استبداديا، و قد أثر هذا الطابع على كل جوانب الحياة في هذا العصر بما في ذلك الأدب، إذن فالسياسة ما سببت أن يشاهد العصر الاتجاه الشعري السياسي فحسب، بل أثرت السياسة على كل اتجاهات الشعر.(مندور، ١٩٦٣، ٥١) إذن كل هذه التطورات و التغيرات في الساحة العباسية قد سببت أن يغير الشعراء و الأدباء رؤياتهم تجاه الأدب و يعكسوا القضايا الاجتماعية و ما إلى ذلك في آثارهم بأشكال مختلفة، فساروا نحو الإبداع و التجديد حتى لا يتخلفوا من تطورات العصر و تكسب آثارهم درجة القبول من الجماهير.

الشعر في العصر العباسي

لقد تطور الأدب في هذا العصر لاسيما الشعر منه، «فتعددت موضوعات الشعر العربي في العصر العباسي بتعدد الاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة في ذلك العصر» (نجيب عطوي، ١٩٩٣، ٩٣). الشعر في العصر العباسي هو مرآة للقضايا السائدة في المجتمع العربي آنذاك، فنرى الخمريات و الزهديات وأشعار الوصف و سائر أغراض شعرية في العصر العباسي لا ينفك بعضها عن بعض، فسبب نشأة الزهديات مثلا هو تطور الخمريات و المجون و الملاهي في هذا العصر. من الشعراء الذين قد ذاع صيتهم في العصر العباسي هم بشار ابن برد و أبو نواس و أبو العتاهية و أبو العلاء المعري و أبو تمام و البحتري، و «لقد مثل مسلم ابن وليد و أبو نواس و أبو العتاهية و جماعتهم فترة تحول في بعض وجوه فن الشعر، وذلك من ناحية الأساليب التي إبتدعوها و المعاني التي طرقتوها» (الشكعة، ١٩٨٠، ٧٩١)

كما إن الشعراء جددوا أكثر الأغراض الشعرية القديمة كالخمرية و المديح و الرثاء و ابتدعوا أغراضا جديدة و المعاني الشعرية الجديدة و الصور الشعرية الجديدة. إذن «فالمجتمع العباسي كان مجتمعا خصبا من حيث الشعر و تفاعلت فيه معاني الشعر و موضوعاته و صورته و أساليبه و خياله و شخصيته» (المصدر نفسه، ٨).

فقد ظهرت في هذا العصر مدرستان في الشعر و هما المدرسة الشعبية العامة التي كان زعيمها أبو تمام و المدرسة الشعبية الخاصة التي كان أبو نواس رائدها كما كان رائد الخمريات و المجون، فإنه كان يعرف بالمجون مع أنه كان عنده أشعار في الزهد؛ «فالمدرستان كلتاهما واقعتان تقولان بوجود أن ينزل الشعر إلى ميدان الحياة الواقعية، جليلها و تافهها دون تفریق، على أن المدرسة الشعبية الخاصة لم تتجنب تماما من القديم، هذا و إن هذه المدرسة قد ادعت بالتجديد في الموضوع و الصورة، و أبو نواس و مسلم ابن وليد من أشهر أصحاب هذه المدرسة» (البهيتي، ١٩٥٠، ٤١٤)

أبو نواس، حياته و شعره

حياته

ولد الحسن ابن هاني المعروف بأبي نواس سنة ٧٦٢ في الأهواز بخوزستان، من أبوين فارسيين، و توفي أبوه و هو لا يزال طفلا، فانتقلت به أمه إلى البصرة و عمره سنتان، فنشأ يتيما في كنف أم شغلته عنه، و بعد مدة اقتربت أمه برجل من أهل البصرة و صار أبو نواس يتيم الأب و الأم. و كان يعمل في حانوت عطار يبيري له أعواد البخور، ثم ينتقل بعد عمله إلى المسجد الجامع حيث حلقات العلم و حيث احتك بعلماء العصر و أدبائه و أخذ عنهم الشيء الكثير. (الفاخوري، ١٩٨٦، ٦٩١) كثرت الخلافات حول أبي نواس و حياته و سبب توجهه نحو المجون، فيعلله الدكتور شوقي ضيف هكذا: «وربما كان من دوافع إغراقه في المجون أنه كانت تؤذيه سيرة أمه في البصرة، فارتحل معه و أخذ يصب من الخمر كي ينسي أمه، ثم وقع في حبال المجان في الكوفة من أمثال مطيع ابن إياس. (ضيف، ١٤٣١، ٢٢٢) لم يكن يعكف أبونواس بالشعر فحسب، بل و أنه تفقه بالفقه و الحديث إلى جانب الشعر، و لهذا إعترف أهل عصره بأنه كان فقيها عالما عارفا بالأحكام و الفتايا، بصيرا بالإختلاف، صاحب حفظ و نظر (نجيب عطوي، ١٩٩٣، ١٢٦) قد عاش أبونواس كما يقول الباحثون عيشة لهو و مجون، و لكنه في أواخر حياته تاب من مجونه و تزهد حتى توفي سنة ١٩٨هـ ق. (الفاخوري، ١٩٨٣، ٦٩٣)

شعره

كان أبو نواس تلميذا لعلماء البصرة الأجلاء، ثم غادر البصرة إلى الكوفة، فنما عوده في الشعر و قوي ساعده في اللغة حتى ان الجاحظ يصفه بقوله: «ما رأيت أحدا أعلم باللغة من أبي نواس»، أما في الشعر فإن أبا عبيدة يعده للمحدثين كإمراء القيس في الجاهلين، و يشيده العنابي بأنه لو كان في الجاهلية لكان أفضل شاعر. (الشكعة، ١٩٨٦، ٢٧٥). كان لأبي نواس بديهة حاضرة تصقل ما يقول من طرائف في أشعاره، فكان يستمد أفكاره الفكهة من البيئة التي يعيش فيها، عاش أبونواس حياته كلها شعرا و ترك مجموعة كبيرة من القصيد و الرجز ضمها ديوان كبير الحجم. (المصدر نفسه). يسهم أبونواس في كل موضوعات الشعر لفترة تناهز الأربعين سنة، بحيث لا نكاد نشعر أنه لم يقل يوما شعرا، فقد أكثر الشاعر من شعر المجون و الشعوبية و الخمرية و الغزل و المديح و الهزل و الوصف و الطرد، و أخيرا الزهد، و كانت آخر أبيات قالها تلك التي عثر عليها تحت وسادته. (الشكعة، ١٩٨٦، ٢٨٠)

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

فمالي إليك وسيلة إلا الرجا و جميل عفوك ثم إنني مسلم

إن أشعار أبي نواس من حيث الكثرة و الخصبة في حد بالغ، و عندما يصف الخمر أو يقوم بالطرديات يشعر القارئ بأنه نابغة الشعراء العربية، لأنه يميل إلى الجديد و ربما الإبداع في أشعاره هذه؛ يميل الشاعر في مدائحه الكثيرة و مراثيه القليلة إلى القديم، و يعد شاعرا فحلا ملتزما بالقديم في هذا النوع من أشعاره؛ أما خمرياته فذات معان فلسفية حينا و ذات قيمة أدبية و بلاغية و جمالية حينا آخر.

ملامح الإبداع الأسلوبي في أشعار أبي نواس و آراء مخالفين إبداعه

ملامح الإبداع عنده

عندما نتكلم عن الإبداع في أشعار أبي نواس لا نستطيع أن نخرج من إطار خمرياته و طردياته، فإن يكن هناك إبداع فلنتلمس في خمرياته و طردياته، لأنه قد اشتهر بخمرياته أكثر من سائر الأغراض، و قد غاص في خمرياته و تكلم معها و صورها كإنسان حي و خلق منها معان فلسفية. حديث الشعراء عن الخمر ليس وليد العصر

العباسي، فقد وجدناه عند شعراء جاهليين كالأعشي، و أمويين مثل الأخطل و الوليد ابن يزيد، لكنه كان يأتي عندهم لمحات سريعة لا يتوقف عندها الشاعر كثيرا، في أبيات تنتمي إلى غرض آخر مثل الفخر أو المدح أو الحماسة، لكن الجديد في العصر العباسي هو زيادة إهتمام الشعراء بها، فأفردت لها القصائد و أضحت غرضا شعريا مستقلا ، فقد وقف الشعراء عندها و قفات طويلة بدءا من الحديث عن كرمتها إلى تصوير آثارها. كان لأبي نواس الدور الأكبر في إزدهار الشعر الخمري و تطوره، لا لكثرة ما قال فيه فقط، و إنما لما أبدع في معانيه و جدد في أساليبه، حتى استحق أن يطلق عليه شاعر الخمر الأكبر (www.forums.3roos662863.com)

الإبداع في الصور الشعرية

إستحدث أبو نواس في الشعر صورا جديدة (تشخيص الخمرة) بإعتماده على الإستعارة أساسا أثرا في تشكيل الصورة الشعرية، و هذا الأمر قد اعتق به الدكتور شوقي ضيف و الدكتور حسين غريس. فقد عرض أبو نواس صورا رائعة من الخمر و ما يتعلق به، حيث لا يوجد هذا التصوير في العصور الماضية و إن كانت توجد الخمريات في العصر الأموي و لكن صارت الخمريات فنا مستقلا على يد أبي نواس. قد إستمر أبو نواس في تصويره عن الخمر بملكاته التصويرية الخيالية البديعة التي افدته بكثير من التشبيهات و الإستعارات البارعة. (ضيف، ٢٣٤-١٤٣١، ٢٣٥)

فالشاعر يركز على الصور، يتابعها متابعة تجعلها تتزاحم في البيت الواحد أو في الأبيات المتلاحقة، و مع ذلك فصوره قريبة من الطبع، شأنه في ذلك شأن الحاذق. كما قلنا إستفيد أبو نواس من التشخيص في خمرياته و يعامل الخمر كإنسان، و يتصوره حيناً حبيته.

ففي مجال التشخيص يقول على لسان الخمر:

فاستوحشت و بكت في الدن قائلة يا أم، ويحك، أخشي النار و اللهب

فقلت لا تحذيره عندنا أبدا قالت: ولا الشمس؟ قلت: الحر قد

(ابن الرسول، ١١١، لاتا)

فترى في هاتين البيتين أن الشاعر قد تصور الخمر كإنسان و في المرحلة الثانية بتنا قد ابتعدت منه أمها و هي تحن إليها، ثم يبدأ الشاعر بالحوار مع الخمر، و هذا ما لا نراه في العصور السابقة من شعراء الخمر. و من مواضع التشخيص في شعره هذه الأبيات:

بعثت جناحتها فاستنزلوها برفق من رؤوس سامقات
فضمن صفو ما يجتون منها خرابي كالرجال مقيرات
فقلت استعجلوا، فاستعجلوها بضرب بالسياط محدرات
فولدت السياط لها هديرا كترجيع الفحول الهائجات
فلما قيلت قد بلغت كشفنا ال عمائم عن وجوه مشرقات

(ابن الرسول، لاتا، ١١٢)

ونشاهد في موضع آخر كيف أن الشاعر قد ألبس الخمر ثوب إنسان قد يتألم من شدة ضربات السوط الذي ينزل عليه و يعاني من الألم و يضج بصوت إنساني مؤلم ، فهذه الصور التي بين أيدينا نوع من الإبداع الفني الذي لم يقوم به شاعر خمري قبله.

إبداع الحوار القصصي

أبداع أبو نواس في الجانب القصصي من خمرياته، و هذا الجانب ما كان سائدا قبله بين شعراء الخمريات و غيرهم في العصر العباسي و العصور السابقة، فقصيدة الخمرية التي سماها بعض الدارسين بالتائية الكبرى و تقع في ثلاثة و ثلاثين بيتا في أداة فنية و أكمل أبعاد، أقرب إلى مفهوم القصة، و قد صدرها أبو نواس بمقدمة يمتدح فيها إخوانه فتية كمصاييح الدجي، مرتفعا بهم إلى مستوي الأبطال مع صباحة الوجوه و الكرم و المروءة. (محمود عقل، ٢٠٠٣، ٥٥). فهذه الأبيات من مصاديق الإبداع الحواري لدي أبي نواس:

فاستوحشت و بكت في الدن قائلة يا أم، ويحك، قد أخشي النار و اللهب
فقلت لا تحذريه عندنا أبدا قالت: و لا الشمس؟ قلت: الحر قد ذهب
تدل هذه الأبيات بصراحة على فن الحوار بين الخمر و الشاعر، فأفعال قلت و قالت تبين الحوار القصصي الدائر بينهما.

الأفكار والمعاني

عندما يتكلم أبو نواس عن الخمر وأوصافه و محاوراته و ينزله منزلة إنسان حي يتابع من هذه الأشياء المعاني و الأفكار التي لم تكن سائدة عند شعراء الخمر الذين قد عاشوا قبله، و هذه الأفكار هي وليدة العصر العباسي الذي تكثرت فيه الأحزاب و الثقافات، و تلاقت الحضارات بعضها ببعض. يمكننا أن نشير إلى بعض الأفكار الإبداعية لإبي نواس في أشعاره الخمرية على السطور التالية:

كأس من الراح العتيق بريحها قبل المذاقة في الرؤوس تسور

(شفيعي، ١٣٨٣، ٣٥١)

الخمر في رؤية ابي نواس هو الذي يحيي الجسم و الروح، فلذلك يسميه ريحانة الكأس. هذا المعني لا نشاهد عند من سبقه بهذا النوع من الشعر. يسمي أبونواس الخمر روحا خالصا في مكان آخر و يحسبه دون جسم. هذا المعني من الخمر هو وليد العصر العباسي، فيقول:

لدي عالم ان سوف تنأي مسافة بين جسماني وروحي

(نجاريان، ٢٦٥، ١٣٩٠)

يستفيد الشاعر من الخمر في معني النور و التلاؤ، فهو عنده رمز للنور و يثقب الظلمة، و هذا المعني قد يستفيدة المتكلمون و المتصوفة و الفلاسفة لبيان ما يعتقدونه. يقول أبو نواس:

حيرية كشعاع الشمس، صافية يحيط بالكأس من لألائها شغل

(المصدر نفسه، ٢٦٦)

إن أبو نواس يعد الخمر منشأ البركات و النعم الإلهية فيقول عنها:

أثن على الخمر بألائها و سمها أحسن أسمائها

(المصدر نفسه، ٢٦٧)

الحرية و الكرامة أيضا من المعاني التي أراد بها أبونواس من أشعاره الخمرية و ابتدعها، و هذا البيت يشهد بإرادته هذا المعني:

فإن الكرم من كرم الوجود و ماء الكرم للرجل الكريم

(المصدر نفسه، ٢٧٠)

أدلة المخالفين لإبداع أبي نواس

إذا أردنا من الإبداع هو المعني الأول للإبداع أي إنشاء شيء من نقطة الصفر، فما قال بابداع أبي نواس من هذا المنظار باحث، و إذا اردنا من الابداع هو المعني الثاني الذي قد ذكرناه في الادب البحث النظري فبإمكاننا أن نسمى أبا نواس مبدعا في اكثر المضامين التي تطرق إليها، لأن المعني الثانوي للإبداع يقول بأنه إن نظر باحث إلى ما قد أنشأه الباحثون الأقدمون برؤية جديدة فنسميه مبدعا. على كل حال اكثر الباحثين قد خالفوا بأن نسمى أبا نواس شاعرا مبدعا و في رأسهم الدكتور بهيتي الذي نتطرق إلى آرائه في هذا المجال. كما أن البهيتي قد خالف بصراحة إبداعية أبي نواس، لم يصرح بعض الباحثين بإبداعيته و لم يشر الأكترون إلى الإبداعية في أشعار حسن ابن هاني. يقول البهيتي: «لم يتحمل أبو نواس في باب الخمر جهدا، و لم يوفر على نفسه مشقة، ولم يدع شاعرا عن المحدثين أو القداما مس الخمر بالوصف إلا مد يده إليه، فيقول صاحب الأغاني في الحديث عن الوليد ابن يزيد الخليفة الأموي بأنه للوليد في ذكر الخمر و صفتها أشعار كثيرة، و قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم و سلخوا معانيها، و أبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها، وجعلها في شعره، فكررنا في عدة مواضع عنه، و لولا كراهة التطويل لذكرتها ها هنا على أنها تليبي عن نفسها. ويقول أبو الفرج في الكلام على الحسين ابن ضحاك بأن أبانواس قد أخذ معانيه في الخمر، فغير عليها، و إذا شاع له شعر نادر في هذا الباب، نسبة الناس إلى أبي نواس، وله معان في صفتها أبداع فيها و شق إليها، فاستعارها أبو نواس. (البهيتي، ١٩٥٠، ٤١٧). كما يبدو من كلام

البهيتي في حديثه عن صاحب الأغاني و اعتماده إلى حديث صاحب الأغاني، أنه قد رفض أي نوع من الإبداع عند أبي نواس، مع أنه يبدو من نهاية كلام صاحب الأغاني بأنه يقبل إبداعية أبي نواس في المعاني. يستدل البهيتي لعدم إبداعية أبي نواس بنماذج شعرية من الأمويين و الجاهليين ويقول بأن هذه المعاني و الصور الموجودة في خمريات أبي نواس ليست من إبداعاته بل كانت موجودة عند القدامى، فيقول: «أكثر ما ينسب إلى أبي نواس في الخمر ليس من إبداعه في الحقيقة، بل قد أخذ أبو نواس معانيه من الشعراء القدامى الجاهليين و الأمويين و الإسلاميين، فالاستفتاح بوصف الخمر مثلا ليس بدعا أحدثه، و لا فنا خلقه، و يكفي أن يكون مطلع إحدى المعلقات الجاهلية، بصورتها التي انتهت بها إلينا، مثل ما انتهت بها إلى أبي نواس، و هو هذا البيت:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا و لا تبقي خمور الأندرينا
أما تفصيل وصف الخمر فباق أثره في شعر عدي ابن زيد العبادي الجاهلي حيث يقول:

وداعا بالصبح يوما فجاءت قينة في عينها إبريق
قدمته على عقار كعين الد يك صفي سلافها الراووق
فنفس هذه الأبيات نجدها عند أبي نواس في الخمرات» (البهيتي، ١٩٥٠، ٤١٨).

النتائج

١. كما يبدو من صلب البحث يمكننا القول بأن استعمال الشاعر من الاستعارات و التشبيهات و صنعة التشخيص في خمرياته هو نوع من الصور الشعرية التي نكاد أن لا نراه في الشعراء السابقين، فالحوار القصصي الذي يستعملها في خمرياته يشهد على هذا الأمر مع أن الشعر يصور الخمر كامرأة و ربما حببيته أو أمه.
٢. المعاني التي ابتدعها أبو نواس تتمثل في خمرياته، فهو في خمرياته يتلمس معاني كالنور و الخلود و الكرامة، وكل هذه المعاني يصل إليها الشاعر عن طريق وصفه

الخمر و تشبيه الخمر و الكرم بالنور؛ فالتشبيهات و الاستعارات التي يستعملها لها دور في إيصال معان مبدعة و جديدة من جانب الشاعر.

٣. قد رفض بعض الباحثين الإبداعية في شعر أبي نواس مستدلين بأن هذه الصور أو المعاني التي يسمونه إبداعا من جانب أبي نواس كانت سائدة عند الشعراء الجاهليين و الأمويين و الإسلاميين بشكل ما، فعلى هذا لا نستطيع أن نسمى أبا نواس مبدعا بل هو مجدد. جاوز بعض الباحثين هذا الحد و قالوا باتتحال أبي نواس أشعار المسبقين؛ فمهما يكن من أمر فالحكم بإبداع أبي نواس منوط بتحديدنا لكلمة الإبداع. فإن نعرفها بأنه هي الرؤية الجديدة إلى ما قد أنشأه الأسبقين فيمكننا أن نسمى أبا نواس مبدعا في كثير من المضامين، وإلا فنسميه مبدعا في الصور الشعرية و المعاني الجديدة التي استعملها في خمرياتة، كما أشرنا إليه مسبقا.

Abstract

Literatures evolves in the development of cultures, takes from society something and grant it something; Whenever we read the literary texts we notice a stage of creativity and innovation in them; which follows the development of societies and cultures in which the writer lives.

The development of literature occurred during the Abbasi period more than the other prehistoric times; where the writers invented sorts of creativity and renewed the purposes of poetry and its contents. Abu Nawas as a modern poet was born in Ahwaz during the Abbasi era. He got acquainted with different cultures and created in his poetry what we do not find in the works of the previous poets. We find something of creativity in the poetic image and meanings that are revealed through his poems. This research attempts to reveal the manifestations of creativity in the poems of Abu Nawas, based on the descriptive-analytical approach. What resulted in this research; is that Abu Nawas created some poetic meanings and sorts of poetic images, but he tended to innovation rather than to creativity.

Keywords: Abu Nawas, the phenomenon of creativity, Poetic meanings, poetic images

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم
١. ابن الرسول، محمد رضا (لاتا)، مقاييسه خمريات فارسي و عربي (رودكي و ابو نواس)، فصلية دانش گاه آزاد إسلامي مشهد.
 ٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم (١٣٠٠هـق)، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.
 ٣. احمد عيسى، حسين (١٩٩٠)، الإبداع في الفن و العلم، دط، عالم المعرفة، كويت.
 ٤. إسماعيل، عز الدين (١٩٧٥) في الأدب العباسي، دار النهضة العربية، بيروت.
 ٥. البهيتي، نجيب محمد (١٩٥٠)، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، دط. دار الكتب المصرية.
 ٦. الشكعة، مصطفى (١٩٨٦) الشعر و الشعراء في العصر العباسي، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
 ٧. شيماء، جاسم خضير (٢٠١١)، ثنائيات المكان في شعر أبي نواس، مجلة كلية التربية الأساسية، رقم ٦٩، ص ١٠٦-١٠٧، نشر جامعة المستنصرية.
 ٨. ضيف، شوقي (١٤٣١هـ ق)، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، الطبعة الثالثة، نشر ذوي القربي، قم.
 ٩. عطوي، علي نجيب (١٩٩٣)، الشعر في العصر العباسي مظاهره و أهم اتجاهاته، دط، مؤسسة عز الدين، لبنان، بيروت.
 ١٠. غلام عليزاده جواد و سيد باقر حسيني (١٣٩٠)، تحليلي بر گرايش مذهبي سياسي أبو نواس، مجلة زبان و ادبيات عربي، العدد ٥، ص ١٤٥-١٦٦.
 ١١. محمود عقل، احمد عبدالقادر (٢٠٠٣)، صراع الحضارات و اثره في الشعر العربي في العصر العباسي الأول.

ظاهرة الإبداع في شعر أبي نواس..... (٥٠٢)

١٢. مير حسيني سيد محمد و مسلم مقصودي (١٣٩٠)، برسي تطبيقي زهديات أبو نواس وسناي، مجلة ادبيات تطبيقي بجامعة شهيد باهنر كرمان، السنة ٣، العدد ٥، ٢٨٠-٣٠٣.
١٣. نجاريان محمد رضا و محمد كاظم كهرويي (١٣٩٠)، نگاه شاعرانه أبونواس و رودكي به خمريات، مجلة ادبيات تطبيقي بجامعة كرمان، السنة ٢، العدد ٤، ٢٦٠-٢٧٩.

١٤. www.forums.2roos662863.com

١٥. www.mowhopon.netbank8880.com